الدرس 10: المعطيات/ الأدوات

كل العناضر التي سبق التطرق إليها في الدروس السابقة توضح لنا كيفية بناء موضوع البحث، هذا البناء يهدف بدوره إلى توجيه عملية إجراء البحث ميدانيا، التي تقوم هي أيضا على مجموعة من العمليات الإجرائية. يتوفر المجال البحثي في العلوم الانسانية والاجتماعية على مجموعة من النقنيات أو أدوات البحث، وتتحكم في تصنيف معطيات البحث وفق طبيعة الأداة المستخدمة. أما معطيات البحث فهي العناصر الأساسية التي تخدم عملية إجراءه، ترتبط مباشرة بالمؤشرات التي يحتفظ بها الباحث، لكن تجميعها لا يتحقق إلا بواسطة أدوات[1]، حيث يكون الباحث متيقنا من تزويدها له بالمعلومات الصحيحة.

تكون المعطيات التي نحصل عليها كمية أو كيفية، كما أنها قد تكون أولية أو ثانوية.

تحيلنا المعطيات الكمية إلى مفهوم الوحدة، نقوم بحساب الوحدات (التي قد تكون عبارة عن سلوكات، أخطاء، آراء، كلمات، ...وغيرها) حتى يتم إخضاعها للمعالجة الإحصائية[2]. أما الممعطيات الكيفية فتحيلنا إلى مفهوم النوعية، تسلط الضوء على المعنى المفرد، الوحيد والخاص بالظواهر المعاشة. غالبا ما يتم تجميعها في سياق من الذاتية بين الباحث والمبحوث، وتعالج بالتبرير[3].

المعطيات الأولية هي معطيات جديدة نتحصل عليها خلال عملية البحث، أما المعطيات الثانويةفهي المعطيات الموجودة مسبقا، ويعتبر *Maurice Angers* باحثا مساهما في تفسير طبيعة

[1] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 18.
[2] Idem.
[3] Idem, p. 19.

المعطيات التي تزود الأداة بها الباحث، حيث أن جوهر الاختلاف كامن بين كل طبيعة وثانية في أصالة النتائج المتوصّل إليها.[4]

ableau n 1 : Originalités de la recherche dépend des technique de collecte de données.

Technique de recherche	**L`originalité de la recherche**	
	Primaire	Secondaire
Observation en situation	*	
L'entrevue et l'entretien de la recherche	*	
Le questionnaire et le sondage	*	
L'expérimentation	*	
L'analyse de contenu		*
L'analyse statistique		*

Source : Analyses Maurice Angers, Initiation pratique à la méthode des Sciences humaines

في المقاربة التي تقوم على التواصل بين الباحث ومبحوثيه، أي في سياق من الذتية (كالمقابلة مثلا)، يسعى الباحث إلى استيعاب العالم الذي عاشه المبحوث انطلاقا مما يصرّح به. يستجمع الباحث تصريحات المبحوث ويراقب سلزكاته الكلامية التي قد لا تكون دوما صالحة كمصدر للمعلومات لما قد يريبها من عدم اليقين منها، ولا يمكن لأية بحث من التقدم في هذه المرحلة إلا بعد التحقق من صلاحية المعلومات التي حصل عليها والاستغناء على تلك التي لا تصلح لنعود إلى التذكير في هذه النقطة باليقظة العلمية للباحث.

أما في مقاربة يكون فيها الحضور أكثر لأداة البحث، المستخدمة لجمع المعلومات حول الجانب الموضوعي من عالم المبحوثين (كالاستمارة أو الاختبار النفسي)، فاليقظة الصارمة مطلوبة عبر البحث

[4] المقصود بهذه الجملة هو نتائج تكشف عن حقائق جديدة أو نتائج تكشف عن حقائق هي موجزدة في الأصل.

عن مدى صلاحية مضمون الإجابات. أثارت هذه الملاحظة انتباه الخبراء في مجال البحث العلمي منذ سنوات الستينات والسبعينات.

الدرس 08: المؤشرات

المؤشرات هي جزء من العالم الواقعي المتعدد والمعقّد، لقد سجلنا سابقا أن المفهوم الاجرائي يضم أبعادا متعددة وهي ليست قابلة دوما للملاحظة بطريقة مباشرة.[5] فما هي هذه المؤشرات التي تجعلها هذه الأبعادة قابلة لأن نتعرف عليها ؟

التعريف:

المؤشرات هي عنصر منهجي، يوجه الانتباه إلى شيء ما، وأداة مهمة تسمح بالمقارنة وتحديد التقدم نحو الهدف من البحث. إن المؤشرات في منهجية البحث العلمي تعني تجسيد دلالة المفهوم ميدانيا، ويجب أن لا تقل مؤشرات المتغير أو المفهوم عن مؤشرين.

في المثال الذي تم التطرق إليه في الدّرس السابق حول صياغة الفرضيات، تبحث عن مجموعة المؤشرات المجردة التي تميز وضعية تعلم القراءة لدى الأطفال. نلاحظ وجود طفل يتعلم القراءة بمعية شخص أكبر منه: نلاحظ بأن النص الذي يعتبر دعامة في القراءة ترافقه رسوم توضيحية، نلاحظ طريقة معين في القراءة، ... وغيرها من الملاحظات. ولأن هذه العناصر كثيرة، فالباحث مطالب بأن ينتقي من ضمن المؤشرات التي سلط عليها الضوء، تلك المحتفظ بها وذات الصلة بالبحث يحتفظ بها وتكون مجموعة المؤشرات التي يستعين بها الباحث.

[5] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 17.

تأتي المرحلة الثانية وهي الاحتفاظ بالمؤشرات التي تعبر بدورها عن جزء من حقل الوقائع التي استخلصت من مجموعة أولية من المؤشرات التي كانت بدورها موجودة في العالم الواقعي. ما يحتفظ به من مؤشرات تمثل الواقع الذي يتحكم فيه داخل فضاء من البحث.[6] في المثال المرافق للدرس حول تعلم القراءة، قد يتعلق الأمر بالعناصر أي المؤشرات التالية: السرعة في القراءة، الأخطاء المرتكبة، نوعية الفهم، السلوكات اللفظية والغير لفظية للشخص الذي يساعد الطفل في القراءة، وغيرها. بدون مؤشرات، يكون البحث مجرد تخمين محض، فمن خلال المؤشرات نستعلم حول الأسئلة، وترسم حدود الفضاء الواقعي للبحث. تكون المؤشرات عبارة على شكل سلوك، رأي، عادة، شهادة شفهية أو مكتوبة.

بناء المؤشرات:

نحتاج عملية بناء المؤشرات إلى مجموعة من الشروط للمثل في: ضرورة وجود إطار نظري يساعد على تحديد مفهوم البعد المراد صياغة مؤشر حوله ، ويساعد الاطار النظري على تحديد مستويات التحليل ووحداته وبالتالي وحدات القياس التي سيبنى المؤشر عليها، تحديد هدف المؤشر تاريخيا وديناميكيا وهذا يعني أن يعكس حالة البعد أو الظاهرة المراد التأشير عليها في فترة مضت وفي وضعها الحالي وأن يحمل رؤية مستقبلية، أن يكون المؤشر قادرا على تجميع وحذف واضافة وطرح الوحدات التي يقيسها بمعنى أن لا يكون المؤشر صالحا فقط لدراسة أوضاع الأفراد منفصلين بل دراسة أوضاع داخل الجماعة، أن يكون المؤشر مساعدا على المقارنة بين الأفراد داخل الجماعات والطبقات المراد تحديد أوضاعها وفهمها، بمعنى أن يركز المؤشر على الخصائص المشتركة بين الأفراد والجماعات، أن يحوي المؤشر في داخله تدرجات ذات مسافات متساوية منطقية وواقعية وصادقة، أن يكون المؤشر دالا وصادقا وبسيطا يسهل استخدامه وتوظيفه.

[6] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 17.

تنوّع المؤشرات:

هناك عدة أنواع من المؤشرات هي: المؤشرات النوعية والعامة، المؤشرات الحضرية والريفية، المؤشرات الكيفية والكمية، فثمة أبعاد يمكن صوغ مؤشرات كمية حولها كالدخل وحجم الملكية وكيفية كتغير قوانين الملكية، المؤشرات البسيطة والمؤشرات المركبة وهي مؤشرات لا تتجاوز المتوسطات وتعنى ببعد واحد، في حين أخرى تقتضي تركيب أكثر من مؤشر كالمؤشرات الطبيعية والتوزيعية.

الدرس 07: المقولات السوسيولوجية (النظريات)

يقصد بالمقولات السوسيولوجية النظريات التي نوظفها لتفسير الظاهرة أثناء العمل الميداني، أو نحولها إلى فرضية لاعادة اختبارها، وهي عبارة عن مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية النترابطة والمنسقة فيما بينها، وتتسم النظريات في مجال علم الاجتماع بالتعدّد والتنوع. كما أن استخدام النظرية في البحث السوسيولوجي هو فرصة لإعادة بناؤها واختبار مدى صلاحيتها لفترات زمنية مختلفة أم ميدان مغاير للميدان الذي تجد فيه هذه النظرية أصلها وإعادة صياغتها وفق معطيات العالم الاجتماعي الجديد الذي وظفت فيه.

الدرس 09: المفاهيم الإجرائية

نحتاج في بحوث علم الاجتماع إلى تحديد المفاهيم، التي ترتبط ببناء الموضوع، ولمالها من علاقة بالفرضيات المطروحة، التي تحتاج إلى وضع مجموعة من المفاهيم،

لكن ماالذي تعنيه هذه المفاهيم؟ المفهوم هو تصور نظري، عقلي محض، يهدف من خلاله عقل الإنسان إلى ضبط فكرة ما تعني في الحياة اليومية شيئا ما . فالمفهوم في علم الاجتماع هو اصطلاح

تجريدي لا يمكن اعتباره النظرية الاجتماعية ذاتها، بل هو جزء مهم منها طالما أنها تتكون من مجموعة أفكار. والمفهوم ليس فكرة ثابتة وغير قابلة للتبدل والتحول، بل هو يتغير وبتحول تبعا للواقع الاجتماعي وظروفه الموضوعية والإيديولوجية.[7] وعن حقل العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة، هناك من المفاهيم السوسيولوجية التي حددها الرواد الأوائل في مجال علم الاجتماع أمثال مفهوم العصبية عند ابن خلدون، إعادة الإنتاج يعود كمفهوم إلى بيار بورديو ، البيروقراطية إلى ماكس فيبر، هذه المجموعة من المفاهيم التي حدد هؤلا معانيها يصطلح عليها أيضا بالمفاهيم النظرية.

إذن، المفاهيم الإجرائية أو التعريفات الإجرائية يقصد بها معاني المفردات المستقات من الواقع البحث، أو واقع الحدث الاجتماعي، والتي تملك بعض الخصوصية الاجتماعية المختلفة عن مثيلتها في مجتمعات أخرى.[8] لا يكفي مجرد التعريف، فالأمر متعلق بتحديد الأبعاد المتعددة للمعنى وبفضل المطالعات أو القراءات المتعددة والمعلومات المستجمعة يمكن إثراء مضامين المعنى الذي يحمله المفهوم، منفتحين بهذا على مختلف الإشكاليات التي يطرحها هذا المفهوم.[9]

مثال: إذا كانت عينة بحث تتحدث عن الأحداث ما بين سني 15 و18 سنة ويتعلق بجنس الإناث فقط، فإننا نعرّف الحدث إجرائيا : هو كل فرد من جنس الإناث ما بين 15 سنة و18 سنة (فضلا عن خصائص أخرى ترتبط بطبيعة الموضوع).

---

[7] عبد الغني عماد ، منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكاليات، التقنيات، المقاربات ، الدار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 ، بيروت ، 2008، ص128.

[8] طاهر حسو الزيباوي، أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، مجد للمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت (لبنان)، 2011، ص 104.

[9] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 16.

والمفهوم قد يتخذ مضمونا بنائيا أو مضمونا وظيفيا، فالمضمون البنائي (البنيوي)، يقصد به الأفكار والنعوت والمواد العلمية التي تتكون منها المفاهيم ، وكذلك التغيرات التي تطرأ عليها، كلما تقدم الزمن وتغيرت الظروف والعادات والتقاليد. أما المضمون الوظيفي فيشير إلى الوظائف والمهام والخدمات التي تؤديها هذه المفاهيم، والتي تساعد على فهم الفرضية أو النظرية.

مثال: تعريف المجتمع على أنه مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافية محددة، ولها مجموعة من العادات والتقاليد ... يعتبر تعريفا بنائيا. أما تعريف المجتمع على أنه النظام الاجتماعي الذي يزود الأفراد باللغة والدين والتربية الاجتماعية ... يعتبر تعريفا وظيفيا ".

والباحث في علم الاجتماع يحدد المفهوم في التخصص المدرّس، ويتقيد بالمفهوم السوسيولوجي، فضلا عن المفهوم الإجرائي الذي يتماشى وطبيعة الموضوع المعالج ولا داعي للتعريف اللغوي والاصطلاحي لأننا لسنا في إطار الأدب العربي. إذن، فعمل الباحث هو أن يغلق الفضاء المفاهيمي الذي سيحتفظ الباحث به. طالما يتميز المفهوم أنه متعدد المعاني، في الغالب، يتوجب على الباحث أن يجري انتقاءا لأبعاد ومعاني المفهوم، الخاصة به، بدلالة مايقدمه الواقع أي الحقيقة المراد معالجتها من مظاهر.

كيف تبنى المفاهيم:

هذه العملية هي أكثر من مجرد تعريف أو مصطلح تقني، إنّما بناء مجرد يستهدف تفسير ما هو واقعي، ولهذه الغاية فإنها لا تتناول كافة الجوانب منه، بل ما يعبر عما هو جوهري في هذا الواقع من وجهة نظر الباحث، إذا عملية مزدوجة قوامها بناء وانتقاء.

أولا: تحديد الأبعاد التي تكونه والتي يفسر بها أمور الواقع.

ثانيا: إن بناء المفهوم هو بعد ذلك، تحديد الشواهد التي سيمكن بفضلها قياس الأبعاد، وفي أغلب الأحيان لا يعبّر في العلوم الاجتماعية عن المفاهيم وأبعادها بعبارات قابلة للمعاينة بشكل مباشر، وواقع الحال أن البناء في عمل البحث ليس مسمى نظريا صرفا، الهدف منه هو إرشادنا إلى ما هو واقعي، وجعلنا في مواجهة معه، هذا الدور تضطلع به المؤشرات. والمؤشرات هي تجليات لأبعاد المفهوم قابلة موضوعيا للتحديد والقياس،[10] ونأخذ مثال كي يتضح كيفية الانتقال من المفهوم إلى البعد إلى المؤشر إذا أخذنا مفهوم التحصيل الدراسي كبعد بيداغوجي ومن مؤشراته علامات الامتحانات، معدلات التلاميذ أو الطلبة . وكما قال الدكتور العربي بلقاسم فرحاتي عن مفهوم الشخصية فإذا كان ذات بعد وجداني يظهر في مؤشر السمات من خلال إظهاره للميول وكذلك الابتعاد والتجنب إظهار القلق، يظهر مزاج الأشخاص ، يحب ويكره ...، وإذا كان مفهوم الشخصية ذات بعد سلوكي ، فيظهر في مؤشر السمات أيضا من خلال ظهور على الفرد تغيرات فيزيولوجية دالة، يتجنب الحضور ، يدير ظهره يستقبل ببشاشة، يصرخ في الوجوه ...

عن مفهوم الشخصية إذا كان ذات بعد معرفي، فيظهر في مؤشر السمات من خلال الذكاء اللغوي، الحسي والحركي، المهارات، عاطفي وجداني، عددي رياضي، علائقي، اجتماعي، سرعة التكيف، سرعة الإنجاز.[11] وتسمى هذه العملية المفهوم – البعد – المؤشر، عملية الاجرائية المنهجية للمفاهيم في البحوث الأكاديمية في حقل العلوم الاجتماعية ونأخذ مثالا آخر حول ذلك، مفهوم القيم من أبعاده البعد

---

[10] ريمون كيفي ولوك قان كمبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، تعريب، يوسف الجباعي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، 1998، ص 149.

[11] العربي بلقاسم فرحاتي، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن، 2012، ص 84.

الديني ويظهر في مؤشر الفرد الذي يهتم بالمعايير الدينية عند التقويم المحافظة على الشعائر الدينية، التردد على الأماكن المقدّسة.

عن مفهوم القيم إذا كان البعد اجتماعي مثلا يظهر في مؤشر تعاون الأفراد مع الآخرين، كثير الاتصال بالآخرين، المشاركة في الأعمال الخيرية كالتضامن في ظل جائحة الكورونا التي نعيشها في الوقت الراهن. وإذا كان مفهوم القيم ذات بعد سياسي من مؤشراته الشغوف بالأخبار السياسية، ينتمي إلى العمل النضالي، كثير المنافسة للنظم السياسية، يحب الخطابة.[12]

الدرس 11: المفاهيم النظرية

تساهم المفاهيم النظرية بدورها في بناء الموضوع، فالإطار النظري إذا هو قاعدة البحث، والجدير ذكره أن لكل بحث اجتماعي إطاره النظري الخاص، الذي يصيغه الباحث منطلقا من موضوع وإشكاليته. إضافة إلى أن تحديد الإطار النظري ينعكس إيجابا على الصعيد المنهجي، حيث يصبح اختيار التقنيات أسهل وأسرع، أكده عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو، حيث اعتبر أن الالمام بالهدف من تساؤلات الدراسة، تساعده على صياغتها، ذلك أن المعرفة النظرية تسبق المعرفة المنهجية لكونها أعم وأشمل.[13]

المقصود بالمفاهيم النظرية:

[12] العربي بلقاسم فرحاتي، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن، 2012، ص 77.

[13] عبد الغني عماد، المرجع نفسه، ص: 129-130.

تعني المفاهيم النظرية، التحديدات المجردة والمنطقية التي صاغها المنظر الاجتماعي، واختبرها باقي المنظرين، وباتت تحصيل حاصل متفق عليها بين أهل الاختصاص،[14] كمفهوم التغير الاجتماعي، العصبية، علاقات الانتاج، ...وغيرها. **تخضع المفاهيم التي نحتفظ بها إلى نظام من التحكيم والتفكير المنطقي، يجمع بين مفاهيم أو اقتراحات، ليست العملية بعملية تراكمية للمعلومات للمفاهيم المعنية (مثلما هو الحال في المفاهيم الإجرائية).** يلاؤم المفاهيم النظرية أن تكون محتواة داخل إطار مرجعي حتى يتم تفادي الأدلة الخاطئة والأحكام المسبقة.[15] كأن يكون التيارات الفكرية الكبرى كمدرسة التحليل النفسي، التحليل السلوكي، التيار البنيوي، ...وغيرها، أو عبارة عن نظريات أو نماذج وضعها من سبقو من الباحثين وكان لهم تجربة في ذلك، علما بأن النظرية لا يمكنها عكس الواقع في كليته، لهذا السبب غالبا ما يفضل الرجوع إلى عديد من التوضيحاتالنظرية لتحديد أفضل للموضوع على اختلاف أوجهه، يصطلح على النموذج بالمثلث النظري *la triangulation théorique*.

وظائف المفهوم عموما:

تؤدي المفاهيم سواء الإجرائية منها والنظرية مجموعة من الأدوار تتمثل في: توجيه الباحث من خلال تحديدها للمفهوم ويصبح من اليسير إدراك العلاقات بين الظواهر، **تحديد العمليات والإجراءات** الضرورية لملاحظة الأبعاد التي تكون المفهوم، **إجراء الاستنتاجات العلمية** فمن طريق الاستنباط يمكننا أن نعمم المفاهيم على حالات أخرى، **إمكانية تطوير المفاهيم إلى نظريات.**

تطوير المفاهيم إلى نظريات:

---

[14] طاهر حسو الزيباوي، **أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع**، مجد للمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت (لبنان) ، 2011 ، ص 104.

[15] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit. p. 16.

المفاهيم طبقا للمنظور التفاعلي للوجود المعرفي، كائنات لغوية معرفية تنمو وتتغير ، فما طوّر من مفاهيم أكاديمية اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية وتربوية ...الخ ، كان قد أطلقها الإنسان النخبوي كما قلنا كأسماء في نطاق مشروعه المعرفي العفوي أو المقصود ، ثم صارت مفاهيم مركبة بفعل التطوير، ومحمّلة بأفكار وإيديولوجيات، وانتهت إلى صيغ ونماذج صالحة لاستعمالها كأداة للتحليل، كما هو الشأن في استعمال التكيف والتفاعل والاتجاه والقيم ...إلخ . كنماذج لتحليل الظواهر النفسية الاجتماعية، بل إن كثيرا من هذه المفاهيم تنتج وتطوّر نظرية شمولية تستوعب كل مظاهر الحياة الاجتماعية والنفسية وتفسرها، كالنظرية العامة أو نظرية الأنساق الثلاث عند *Talcott Parsons*، والمادية التاريخية عند كارل ماركس أو نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر ...ةغيرها. هذه النظريات مثلا، إنّما هي في الأصل أنساق متكاملة من المفاهيم تشكلت كلية، وأنتجت رؤية نظرية للظواهر الاجتماعية في بنيتها وعلاقاتها الوظيفية.[16]

علاقة المفهوم ببعض العناصر المنهجية:

تشترك المفاهيم في علاقتها ببناء موضوع البحث بمجموعة من العناصر المنهجية الهامة:

علاقة المفاهيم بالإشكالية: تعتبر مشكلة البحث ثاني خطوة منهجية بعد اختيار الموضوع، وتعني من حيث الصياغة مجموعة من المفاهيم المصاغة بشكل معين لتعطي معنى تسعى الدراسة للبحث فيه. هذه المفاهيم التي يتكون منها الشكل المصاغ لمشكلة الدراسة في عبارة أو عبارات محددة تحتاج إلى توضيح وتعريف حتى يكون واضحا ومحددا معاني تلك المفاهيم سواء أتفق الباحث مع من سبقوه في تعريف نفس المفهوم أو اختلف معهم لوجود طبيعة خاصة لدراسته، تأتي العلاقة والأهمية في

[16] العربي بلقاسم فرحاتي، مرجع سابق، ص: 69-70.

آن واحده بين المفاهيم ومشكلة البحث. وهذا يعني أن العلاقة كما سبق الذكر بين المفاهيم ومشكلة البحث أن الباحث المتفحص بدقة يلاحظ أنها عبارة عن علاقة في مستواها التجريدي، أما الفرضية فتمثل الجانب الملموس من المفاهيم.

<u>علاقة المفاهيم بالفرضيات:</u> تعني الفروض العلاقة بين متغيرين يسمى الأول بالمتغير المستقل والثاني بالمتغير التابع، العلاقة بين هذين المتغيرين ماهي سوى علاقة بين مفهومين وممّا سبق يتضح لنا أن المتغيرات هي ذاتها المفاهيم ولكن بعد تحديدها كما ونوعا.[17] وفي إطار رصد العلاقة الثلاثية بين كل من: المفاهيم، الإشكالية، والفرضيات نضيف أن هناك ارتباط عضوي بين العناصر المنهجية الثلاثة، فالإشكالية عبارة عن مجموعة من المفاهيم يتم تحديدها وصولا إلى صياغة فرضيات حول النتائج المتوقعة للعلاقة بين تلك المفاهيم.

الدرس 04: الدراسات السابقة

تعني ضمنيا الدراسات السابقة، ما نعرفه حول إشكالية الدراسة المراد البحث فيها؟[18] فنحن لا يمكن أن نهمل الكتابات التي ألفت عن موضوع البحث الذي تم اختياره قبلا، فالإستعلام عن المعنى الواضح للموضوع المراد دراسته والأعمال المنجزة حوله يفيد القيام بالبحث بروية. يساهم هذا النهج في تدقيق أكثر لتساؤلات البحث. باختصار.

إن حصيلة المعارف المتراكمة في المجال المعني لا يمكن إهمالها، ولكي نحصل عليها يلجأ الباحث إلى ما يصطلح عليه ببنوك المعلومات *les banques de données*، أو المراجع الموجودة في المكتلات أين يطلع على النصوص والمنشورات عن موضوع الدراسة، قد يستغرق الأمر شهورا، وإن لم

---

[17] عبد الخالق محمد عفيفي ، مرجع سابق ، ص 210.

[18] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 15.

يكن ناك نتّسع من الوقت، فيجب على الأقل الإستعلام حول طبيعة الموضوع ومظاهره المختلفة. وختى تكون الدراسات السابقة مثرية فيجب القيام بهذه العملية بطريقة وثائقية أي عن طريق البحث الوثائقي، ولتكون دقيقة أكثر فالقيام بها يتم على مستوى المكتبات ومراكز التوثيق، فهي الأماكن المناسبة التي يتواجد فيها الأدبيات المكتوبة عن موضوع البحث.[19]

نشير إلى أن الباحث حتى وإن كان الأكثر دقة فهو لا يسعه الاطلاع على كل نا نشر من أدبيات في المجال المعني، لكن لا يجب أن يتغلب عليه هذا الشعور في كونه لم يحط بكل المعارف حول موضوع دراسته لأن هذا الأمر يعطل تقدمه في البحث.

نعود في هذا الدرس إلى المرحلة الأولى وهي الاطلاع على الدراسات السابقة وكيف يمكن تكوين قائمة بهذه الدراسات أي ببليوغرافيا الموضوع ؟... إن الهدف من الاطلاع على الدراسات السابقة بالنسبة للباحث أو القارئ حتى، هو التعرف على مختلف المقاربات الممكنة التي من شأنها أن تتناول الموضوع نفسه، وعليه، تساعدنا هذه المرحلة في التعرف على المقاربة التي نختارها ونجدها الأنسب لدراستنا وهذا انطلاقا من المعارف التي توصل إليها من سبقنا بالبحث في هذا الموضوع والاستفادة منها[20]. إذن، نحن لا ننطلق من لا شيء رغم اعتقاد بعض من الطلبة كمثال على أنه لا يوجد شيء عن موضوع مذكرته أو بحثه.

يخدم كذلك الاطلاع على الدراسات السابقة الباحث في تحديد إشكالية الدراسة ويثري القسم النظري خاصة من المذكرة. لكن الببليوغرافيا لا تنحصر على جمع وقراءة ماله فقط بتخصصنا مباشرة ونحن في علم الاجتماع مثلا والأنثربولوجيا، فقد تكون هناك أبحاث من تخصصات أخرى كالتاريخ،

---

[19] Angers, Maurice (1996). *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, (2e éd.). Montréal (Québec) : Éditions CEC, p. 85.

[20] Odile et Autres, Guide de Mémoire en Sociologie, Universités Rouen/ Paris 8, 2006 www.univ-paris8.fr consulté le 08/12/2016.

الجغرافيا، الفلسفة، العلوم السياسية وغيرها قد بحثت في الموضوع نفسه. إضافة إلى أن كل موضوع قد يكون له خلفية تاريخية تستدعي الوقوف عندها، ف *Auguste Comte.* قسّم علم الاجتماع إلى ماهو ثابت وماهو متحرك اجتماعيا[21].

1/ مراجع المكتبات:

بالنسبة للمكتبات ومراكز التوثيق فهي تمتلك سجلا عاما يحوي المراجع التي تتوفر فيها. هذه الأخير هي مصنفة وفق طرق ثلاث: اسم المؤلف أو الهيئات، العنوان أو الموضوع، وليتمكن العون المكتبي من تحديد الوثيقة، فهو يستعين بقاموس للمرادفات *Thésaurus*، وهو قاموس المصطلحات القياسية المخصص لهذا الغرض، تصنف الوثيقة بعدها وفق عناوين الموضوع *vedettes matière*، بمعنى المصطلحات التي تم انتقاؤها باستخدام قاموس المرادفات،[22] الذي يبدو الأفضل في وصف المادة التي تتطرق لها الوثيقة.

المجلات والدوريات على اختلافها وكذلك الصحف على تنوع عناوينها تصنف وحدها وعلى حدة في سجلات هي كذلك يصطلح على السجل بالفهرس Index أين يكون هناك أيضا عناوين للموضوع، توجّه الباحث إلى العثور على المقالات التي يحتاجها عن موضوع دراسته.

في آخر مرحلة، البحث سجلات المكتبات، حيث تضم محتويات المكتبة على شكل مواد بما فيها المراجع العامة، إضافة إلى الإطلاع على فهرست الدوريات أو اللوائح السنوية للمجلات والبحث في

---

[21] *Idem.*

[22] Angers, Maurice (1996). *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, (2e éd.). Montréal (Québec) : Éditions CEC, p. 85.

أنظمة البحث الببليوغرافي عن الكلمات المفتاحية وأسماء الكتاب[23]، دون إهمال الجانب المعاصر من الموضوع والمجتمع وهي الصحافة *l'actualité*، مثلا من صحافة وطنية (الخبر، المجاهد، *Ouest Tribune*)، عربية (الأهرام، البيان الكويتية، القدس ...)، أجنبية *(le Figaro، Washington Post، Daily Mirror)*، أما التخصصات العلمية فتلك القريبة من تخصص علم الاجتماع (منها: التاريخ، الجغرافيا، الفسفة، الأنثربولوجيا، العلوم السياسية، الاقتصاد والقانون ...).

2/ سلوك الباحث في جمع الدراسات السابقة والببليوغرافيا عامة:

إن تحصيل وجمع ببليوغرافيا وافية عن موضوع البحث يكون بوتيرة مستمرة ومتواصلة ترافق ملية البحث، ونحتاج إلى المرور ببعض المراحل الضرورية في تحصيلها، فنحن نحتاج بداية إلى العثور على مرجع أو أكثر (كتبا ومجلاّت) حول الموضوع المراد دراسته، وإذا كان البحث عبارة عن مذكرة، فغالبا ما يكون المعين الأول في هذا هو المشرف عليه.[24] كما أن المراجع التي تكون بحوزتنا تحيلنا إلى مصادر أخرى لما تحويه بدوها من قوائم ببليوغرافية. على الباحث في هذه المرحلة أن يعمل بطريقة ممنهجة، فيخصّص ملفا يصنف فيه المنشورات أي المراجع التي عثر عليها[25]، بتدوين صاحب المرجع وتوثيق كل معلوماته.

ملاحظة: لا ينسى الباحث أن يدوّن بعناية المعلومات الخاصة بالمراجع التي وجدها تفيد موضوع بحثه، والتزام القواعد الببليوغرافية المتعارف ليها في التوثيق لأنها تخدم الباحث أثناء استظهاره للمعلومات والأفكار المقابسة بتوثيق مصدرها في بحثه.

---

[23] Odile et Autres, Guide de Mémoire en Sociologie Angers, Maurice, *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, p. 85.
[24] Odile et Autres, Guide de Mémoire en Sociologie, op cit.
[25] *Idem.*

مثال: إذا المرجع هو مقال، نقوم بتدوين سنة النشر، عدد المجلة، عدد صفحات المقال.

حتى وإن كان المرجع بلغة أجنبية فرنسية أو انجليزية أو عوامل مادية أخرى، فلا داعي لأن يتردد الباحث في تدوينها، لعلّه يجد ترجمة لها لاحقا.

*الاحتفاظ بالانتماء المؤسساتي للباحثين، فقد يدلنا على مراكز للتوثيق، (كأمثلة: الأرشيف الوطني، الصندوق الوطني للمعاشات، مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية،... وغيرها من الؤسسات الوطنية أو العربية والأجنبية كالمركز الوطني للبحث العلمي *CNRS* بفرنسا، الأرشيف الوطني في تونس، مجمع البحوث العلمية الإفريقية للتنمية *CODESRIA* بالسنغال ... وغيرها).

ثم في خطة ثانية، البحث عن الكتاب الذين تعرفت على مؤلفاتهم انطلاقا من المكتبات التي ترددت عليها، ونشير إلى أن هناك من المجلات ذات المستوى الأكاديمي العالي تصدر لوائح دورية، (مثلا كل 5 سنوات، 10 سنوات ...)[26]، لا يتردد الباحث في البحث ضمن هذه اللوائح عن أسمائهم للعثور على مقالاتهم، هذه الأخيرة نفسها تحيلك إلى مراجع مفيدة اعتمد عليها هؤلاء الكتاب أنفسهم. بعد مضي فترة من الزمن، نعثر على الأسماء نفسها لهؤلاء الكتّاب، هذا يعني أن عملية البحث قد استوفت جهدها في العثور على الدراسات السابقة المفيدة لموضوع البحث.

ملاحظة: في حالة توفر المراجع على مستوى مكتبة جامعية مغايرة لمؤسسة انتماء الطالب مثلا، فبإمكاننا استارتها، فقط على الطالب أن يقدم ما يثبت به صفته العلمية، مثلا تقديم بطاقة لطالب أو شهادة التسجيل المدرسية التي تثبت تمدرسه في السنة الجارية.

[26] Odile et Autres, Guide de Mémoire en Sociologie, op cit.

بعد البحث عن الدراسات السابقة، بإمكان الباحث الآن وانطلاقا من أسماء الكتاب التي بحوزته، أن يضع قائمة بالكلمات المفتاحية التي تضع الموضوع في إطاره الاجتماعي، يحيل إلى مجموعة من المعاني المشتركة والمفاهيم السوسيولوجية[27].

مثال: في موضوع حول دور وسائل الاتصال في تحفيز المرأة على حرية التعبير، قد تكون من ضمن المعاني المشتركة التي تحدد لدارس الموضوع، المعاني المشتركة التالية: وسائل الاتصال، حقوق الانسان، وقد تكون من المفاهيم السيولوجية: الحرية.

3/ أنظمة البحث الببليوغرافي:

أقدمها هو النشريات العلمية التي تصدرها مؤسسات دولية وتلك التي تعنى بالبحث العلمي، منها النشرية *le bulletin signalétique* التي تصدر عن المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا (فرع علم الاجتماع)، حيث تضم قائمة للمقالات وفق الموضوع والكتاب، وكذلك نشرية هيئة *UNESCO*، أما على مستوى المكتبات، فبرامج *FRANCIS* و *ELECTRE* (بالنسبة لبيع الكتب) وعلى مستوى المكتبات الوطنية برنامج *OPALE*[28]، أما الأنترنت فهي توفر مجموعة من محركات البحث وتعين بدورها الباحث في الولوج إلى المواقع الالكترونية.

دور النظرية في البحث:

تساهم الظاهرة في جعل الباحث يسلّط الضوء على مجموعة من الجزانب الخاصة بالظاهرة التي يدرسها، وتنبؤه عن الحقائق التي قد تتكشف له لاحقا عنها، فوسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية في

[27] *Idem.*
[28] Odile et Autres, Guide de Mémoire en Sociologie, op cit.

الإمكان دراستها من مقاربة اجتماعية، ثقافية أو حتى اقتصادية، كما أنها تمثل مرجعا مفاهيميا للموضوع قيد الدراسة إن كانت النظرية قابلة للإسقاط أو التوظيف، بل أنها تزودنا بأفكار عامة عن الظاهرة التي يدرسها الباحث، كمثال عن ذلك للتوضيح.

مثال: في موضوع حول الصراع والحركات الاجتماعي، فقد يفيدنا الإطلاع على النظرية الماركسية وما حلله من خلالها كارل ماركس عن الصراع بين طبقتي الرأسمالية، والبروليتاريا.

أشرنا في بداية الدرس أن النظريات توظف لتفسير الظاهرة أثناء العمل الميداني، أو نحولها إلى فرضية لاعادة اختبارها.

مثال: في موضوع عن تربية الأسرة لطفالها، تمثلت إشكالية البحث في: من أين يكتسب الأطفال داخل الأسرة، القواعد التربوية الأولى في تنشئتهم ؟

نفترض أننا وظفنا النظرية الاثنولوجية التي مفادها أن الصغير مولع بتقليد الكبير.

في حالة توظيف هذه النظرية كفرضية، ستكون الفرضية هي اقتراح حل لمشكلة البحث، وطرحها كفرضية من أجل الإجابة عليها. سيفترض الباحث أن: يحاكي الأطفال كقدوة في سلوكاتهم تلك التي تصدر عن الأفراد الأكبر منهم سنا داخل الأسرة.

أما في حالة توظيف هذه النظرية لدعم نتائج العمل الميداني، فهي تزود الباحث بنموذج مفاهيمي لدراسته وتجعل النظرية نتائج البحث واضحة. ففي هذه الحالة ستدعم النظرية في توظيفها تفسير الظاهرة ودعم نتائجها التي تم التوصل إليها في الميدان، وذلك إن عثر الباحث على الحقيقة الاجتماعية نفسها التي تدور حولها النظرية. نقوم بتوظيف أو إسقاك النظرية على ميدان البحث باتباع الإجراءات التالية وهذا طبعا بعد اختبار النظرية أو النظريات المناسبة: القيام أولا بعرض مختصر وشامل لمضمون

النظرية. لو عدنا لمثالنا السابق حول موضوغ الحركات الاجتماعية والصراع ووقع اختيارنا على النظرية الماركسيى، فنحن سنفدم بداية عرضا مختصرا وشاملا عن هذه النظرية، نركز فيه على فكرة الصراع ممثلا في الصراع الطبقي بين الطبقة البرجوازية وطبقة العمال، علاقة ذلك بالتغير الاجتماعي أو التحولات التاريخية التي عرفتها المجتمعات الأوروبية المصنعة إضافة إلى التطرإلى فكرة الجدلية المادية والتاريخية لعلاقتها بوسائل الانتاج وعلاقات الانتاج وقد يضطر الباحث أيضا إلى أن يتطرق إلى مفهوم الاغتراب لدى ماركس إن كان واحدا من الجوانب التي شملتها دراسته. ثم مرحلة توظيف النظرية المباشر، فبعد الإجراء، يأتي دور الإجراء الثاني في توظيف النظرية. بربط أفكار البحث بمضمون النظرية.

الدرس 06: صياغة الفرضيات

الفرضية هي اقتراح مقبول مؤقتا قبل أن تخضع للإختبار بفعل الوقائع التي سيتم معاينتها.[29] يقوم النهج العلمي على الفرضيات التي يشترط فيها أن تكون مفسّرة للظاهرة موضوع الدراسة. حيث تتخذ شكلان.

الشكل الأول: أن تكون الفرضية هي انعكاس بسيط لطبيعة الواقع (كأن تطرح الفرضية مفهوما مثلا).

الشكل الثاني: في هذا الشكل تعكس الفرضية تربط الفرضية العلاقة بين مفهومين أو بين ظاهرتين.

في حالة البحوث الاستكشافية، يكون مجال البحث الميداني غير واضح بعد، قد يكون بناء الفرضيات منذ البداية مستحيلا. نذكّر أن الهدف من البحوث الاستكشافية هو العثور على فرضيات يمكن إخضاعها للاختبار بفعل ما سيتم معاينته من وقائع بعدها كما سبق الذكر. كما سبق الذكر أيضا في

[29] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 15.

ماله علاقة باليقظة المعرفية تفرض على كل مبادرة علمية تقديم مرجع أو وصف دقيق للوضعية التي تجري فيها عملية البحث.

العلاقة بين الفرضيات ومنهجية البحث:

لمنهجية البحث علاقة بالفرضيات. فهناك الباحث الذي ينزل إلى الميدان مزودا بفرضية ويسعى أن يخضع الأفعال الموجودة في الميدان، هدفه الإجابة عن السؤال 'كيف' والبحث عن نظامية الوقع (أي القوانين المتحكمة في الأفعال)، مستعملا في ذلك المنهج التجريبي.[30] يبني الباحث متغيرات مستقلة وأخرى تابعةلفحص العلاقات التي تربط بينها، ويلغي المتغيرات التي تطفو فوق نتائجه. كل الإجراءات التي يباشرها الباحث تخضع للموضوعية:وتستلزم منه أن يكون على مسافة من الحقيقة التي يدرسها.

إذن، في هذه الحالة تحدد منهجية البحث الأطر التي تثبت عليها الواقع، هذه الأطر تمثل الإجابات التي ينتظرها الباحث وتسعى إلى اختبار الواقع ومنها صلاحية المعطياتالتي هي بحوزته. يتعلق الأمر في هذا الموضع بمعالجة المتغيرات، أي اختبار الواقع في (الميدان) لاثبات أو نفي الفرضيات المقترحة.[31] في حالة ثانية يكون العكس، لا تصاغ أية فرضية مفسّرة قبل النزول إلى الميدان. اهتمام الباحث الأول منصب على معرفة ما يجري في الميدان ثم في وقت لاحق يصيغ فرضياته ويقدم تأويلات لما تم ملاحظته،[32] في هذه الحالة يتم جمع الأفعال الملاحظة وإعطاؤها معنى عن طريق الربط بينها. يقوم الباحث في حال اعتمادهعلى هذه المنهجيةفي إجراء البحث على التحقيق الميداني، باحثا عن

---

[30] Idem, p. 20.
[31] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit.,, p. 21.
[32] *Idem*, p. 20.

المعنى الذي تحويه الأفعال الملاحظة. التحقيق هو بحث عن المؤشرات، ينتج عنها فرضية تكون العلاقة بين الملاحظات التي تحتوي على معنى.[33]

مثال تطبيقي: إليك الموضوع حول دور قانون المرور في ضبذ سلوكات الفوضى المرورية، حيث تمثلت الإشكالية في السؤال التالي: *هل يساهم قانون المرور في ضبط سلوكات السائقين ؟*

كانت الفرضيات المقترحة هي:

الفرضية الأولى: القواعد القانونية تحكم وتنظم سلوك الأفراد في الجماعة وتوفّق بين مصالحهم.

الفرضية الثانية: القانون يفرض على مخالفيه الجزاء الذي توقعه السلطة المعنية.

الفرضية الثالثة: يمكن للتنظيمات المرورية أن تحفّز الأفراد على اتعمال النقل العام.

الفرضية الرابعة: تساهم عملية تنظيم ومراقبة حركة المرور في التقليل من سلوكات الفوضى المرورية لدى السائقين.

المطلوب: حدد على مستوى كل فرضية العلاقة التي تتضمنها، بين مفهومين أو بين ظاهرتين:

رقم الفرضية	المفهوم/ الظاهرة 1	المفهوم/ الظاهرة 2
1 2 3		

[33] *Idem*, p. 21.

4		

الدرس 13: نماذج التحليل في البحث العلمي ومناهجه

كل بحث علمي، موجه للإجابة عن تساؤل أو مجموعة من التساؤلات الموضوعة، يخضع إلى نموذج (بمعنى مقاربة في الدراسة والتحليل) قد تكون: وصفية، تفسيرية، أو عن طريق فهم الظاهرة.[34] من الباحثين من قد يجمع بين نموذجين أو حتى ثلاثة معا، علما أنه في هذه الحالةذا يتوجب معالجتها بطريقة واعية دون خلق خلاف.

أولا، نماذج التحليل الثلاثة:

1/ النموذج الوصفي: يهدف النموذج الوصفي في تحليل البحوث العلمية إلى وصف الظاهرة أو الوضعيات.[35] مثلا، الملاحظة الأخلاقية، بمعنى (جرد نسقي لسلوكات فرد ما متواجد في زضعية معينة وهي تقنية صار استخدامها في تزايد حاليا. إن وصف وتصنيف السلوكات هو أمر ضروري نبدأ به في كل تحليل. هذه العملية مهمة كأهمية البحث عن أسباب الظواهر. تعد التصنيفات*les taxonomies* والأنماط كأمثلة عن البحوث الوصفية. حاليا استخدام التحليلات المتعددة المتنوعة يساهم في تنظيم المعطيات الوصفية التي نجمعها بوضع حظم وفق مفهوم إحصائي.

2/ النموذج التفسيري: هذا النموذج يقوم حصريا على التفسير، بمعنى أن هدفه وحيد هو الكضف عن الأسباب التي تفسر الظاهرة. يستلزم إستخدام المنهج التجريبي، حيث توضع مخططات تجريبية لأجل فحص التحول أو التغير الذي يطرأ على المتغير المراد تفسيره (النتعير التابع) عندما نضع

[34] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p. 13.
[35] *Idem.*

متغير أو مجموعة من المتغيرات على مستوبات متفاوتة في التغير أو التأثير (المتغير أو المتغيرات المستقلة).[36] إذن، تشكل المخططات التجريبية حقلا لمعالجة المتغيرات، وبواسطتها يتوصل إلى صياغة قوانين وتفسيرات ذات طبيعة عامة. يحتاج الباحثون في هذا النموذج إلى اعتماد طريقة منسقة في العمل فعلى الباحث أن يقتطع من الواقع على شكل متغيرات منعزولة لفحص العلاقة التي تربط بينها في سياق من السببية.

3/ نموذج فهم الظاهرة: يبحث هذا النموذج في المعنى من الظاهرة، مستخدما المفاربة الظاهراتيه التي تسعى إلى شرحه وما لدى الأفراد من تجارب معاشة مليئة بالحقائق التي يعبر عنها عالمعه الموجودة فيه بكل موضوعية.[37] يحاول هذا النموذج فهم الظواهر وما تعبر عنه من إدراك عما يعيشه الأفراد، هذا الوعي يمثل أفعالهم البشرية. وعليه، يسعى نموذج التحليل بفهم الظاهرة إلى البحث في معنى الأفعال البشرية الموضوعية والذاتية الصادرة عن الفاعلين. فهمها يؤدي إلى بناء نماذج لسلوكات البشرية (نماذج وفق تعبي ماكس فيبر مثال نموذجي). لفهم العالم، يجب الإلمام بما هو مألوف والمعاني المتضمنة داخل نشاطات الفاعلين عن طريق مقاربة ذاتية بين المبحوث والباحث.

[36] J.P. POURTOIS et Autres, op. cit., p.p. 13-14.
[37] *Idem*, p. 14.